

الدرس الرابع: الموروث الحضاري للاحتلال الروماني (المعتقدات والعمارة)

ازدهرت الحياة الاقتصادية في أفريقيا الرومانية خدمة لمصالح روما وإمبراطوريتها الممتدة من شرق المتوسط إلى غربه، فكرس أباطرتها جهودهم لزراعة الحبوب والأشجار المثمرة كالتين وزراعة الزيتون وتربية المواشي والخيول، خاصة أن الرومان قد طوروا لذلك العديد من المهن والحرف المساعدة على تطوير الزراعة وتوسيع مجالها، فتطورت معاصر الزيتون، والنسيج وصناعة الفخار للاستعمالات اليومية وللتنزين والنقل، وهو ما سمح بتحقيق نشاط تجاري كبير بين مقاطعات أفريقيا وباقي المقاطعات الرومانية.

إضافة إلى النشاط الاقتصادي المرتبط بروما فقد عمل الرومان أيضا على رومنة المظاهر العمرانية في البلاد فبرزت المدن الرومانية كمظهر حضاري كبير جدا للحضارة الرومانية في شمال أفريقيا، ولم يكتفي الرومان بالعمران بل حاولوا نشر عبادة مختلف آلهتهم ومعتقداتهم.

1. العمران: عرفت بلاد المغرب القديم العمران منذ الألف الثانية قبل الميلاد، لكن هذه المدن ستجلى ملامحها أكثر في العهد الروماني، ومنها قرطاج، أوتيكا، قيرطا، هيبوريغيوس، قيصرية، حضر موت ...

وقد تنوعت هذه المدن حسب طبيعة أنشطتها فنجد المدن التجارية وهي المدن الساحلية مثل لبدة، سوسة، قرطاج، أوتيكا، بنزرت، عنابة، سكيكدة، بجاية، قيصرية، ... ثم تأتي المدن الريفية الداخلية التي قامت على أساس الفلاحة مثل عنونة، دوقة، ... وأخيرا المدن العسكرية مثل تيمقاد، لمبار، جميلة ... وتميزت المدن الرومانية بتنظيمها المحكم (الكاردو + الديكيمانوس) ومرافقها المتنوعة ومنها:

أ. الفوروم (الساحة العمومية): ترمز للوجود المدني وهي عبارة عن ساحة واسعة مبلطة محاطة بالمباني العمومية والدكاكين، تزينها أقواس وتحمل عددا من النصب الشرفية كتماثيل الأباطرة وسادة المدينة، ويمكن أن يكون للمدينة الواحدة أكثر من ساحة مثل جميلة، وفي هذه الحالة يكون الفوروم الحقيقي هو الذي تتواجد به مقر اجتماع المجلس البلدي.

ب. البازيليك: مرفق متعدد الوظائف، فهو مكان لرفع الشكاوى وغرفة تجارية للمزاد وعقد الصفقات التجارية، ثم تحولت في الفترة المسيحية إلى كنائس.

ج. المعابد: تقام في كل الأحياء تقريبا لآلهة متعددة، وكانت المدن الأكثر رومنة تقوم ببناء معبد الكابتول مثل تيمقاد...

د. أقواس النصر: شيدت تخليدا لانتصارات الأباطرة والقادة العسكريين، تقسم إلى صنفين فمنها من يعد ضمن صور المدينة فيشكل مدخلها، والثاني يكون في الساحة العامة، تختلف فتحاتها من قوس لآخر فمنها ذو الفتحة الواحدة والثلاث فتحات وحتى الأربع واجهات ومنها قوس تراجانوس في تيمقاد ذي الثلاث فتحات، وقوس كراكلا في تبسة ذو الأربع واجهات.

ه. المسارح: موجهة للتسلية وهي موجودة في كل المدن وهي مقر سباق العربات والمدرج يستخدم للمصارعة ومنها مسرح تيمقاد، لمبار...

و. الحمامات: كانت للاستحمام والرياضة ومنتديات ثقافية وأماكن لقضاء الفراغ والاسترخاء، تحتوي الحمامات الرومانية على قسم الاستقبال وخزائن الملابس وتقسم إلى ثلاثة أقسام هي القسم الحار، القسم الخاص بالماء الفاتر (تبيدarium)، والقسم الخاص بالماء البارد (فريجيدarium) **ي. الأسواق:** مخصصة لبيع مواد الاستعمالات اليومية، وإذا كانت هناك صفقة فتعقد في البازيليك، ومن أمثلتها سوق تيمقاد الذي أقامه ماركوس بلوتوس فلوستوس، وكذلك سوق جميلة المخصص لبيع الأقمشة.

إضافة إلى هذه المرافق نجد العيون العمومية واسعة الانتشار في المدن الرومانية، إضافة إلى الصهاريج والخزانات وقنوات المياه والجسور، والبيوت، والاقامات الريفية الفاخرة والفيلات المزينة بالفسيفساء وخص الطبقات الراقية...

2. المعتقدات (الحياة الفكرية والدينية): حاولت روما نشر لغتها في شمال أفريقيا كمظهر آخر للرومنة وهذا ما عبر عنه القديس أوغستينوس بقوله: "إن الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب، لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب، بل لغتها أيضا"، لكن رغم أن جزءا من الأهالي قد اضطر لتعلم اللاتينية باعتبارها اللغة الرسمية في المحاكم والبلديات، إلا أن اللغة الليبية ظلت هي لغة التخاطب في المدن، في حين ظلت الأرياف بعيدة تماما عن لغة الرومان.

ففي المدن سارعت روما لفتح المدارس لتعليم القراءة والكتابة والحساب على يد معلم أولي، ثم دراسة الأدب والموسيقى والفلسفة بعد سن السابعة عشر على يد معلمي المدن الكبرى كقيرطا ومداوروش...، وهو ما عجل ببروز الكثير من الشعراء والخطباء من أبناء شمال أفريقيا

تاريخ وحضارة المغرب القديم 2 السداسي الرابع د. بوقارة عبد الرحمان جامعة جيجل

ومنهم: الشاعر مانيليوس، كرنيتوس الذي أصبح شيخ الرواقية في روما، الخطيب فلوروس عهد هادريانوس، فرونتيوس القرطي معلم ماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس، كذلك نجد: أبوليوس، تورتيليانوس، وأغستينوس الذين كانت لهم شهرة كبيرة في أنحاء الإمبراطورية. أما الحياة الدينية: فقد نقل الرومان معتقداتهم إلى شمال أفريقيا يتصدرها الثالوث المقدس جوبتر، جونو، منرفة (الكابتول) وانتشرت عبادته في أغلب المدن الكبرى كدوقة، تيمقاد، لمبار، قيرطا، ...

إضافة إلى الكابتول عبد أيضا الإله مارس، هيرمس، باخوس، ...، إلى جانب انتشار عبادة الامبراطور في العديد من المدن الأفريقية، لكن هذا لم يؤثر كثيرا على الأهالي فلم يتقبلوا إلا الآلهة التي استمدت في جوهرها من معتقدات محلية وآلهة محلية كالإلهين جوبتر وساتورنوس اللذين استمدوا روحهما من بعل-حمون، والإلهة كايليستيس المستمدة من تانيت، ... ثم ستأتي لاحقا الديانة المسيحية (سنطرق إليها في الدرس السادس)

مراجع حول الدرس:

1. محمد الهادي حارش: التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري من فجر التاريخ إلى الفتوحات الإسلامية، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992.
2. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008
3. سمية عطية: أثر التشريعات الرومانية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب 146ق.م-429م، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب القديم، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2022/2023.